مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (2) 2019

أثر الدلالة السياقيّة في فهم النص

عبد اللطيف صبحي عبد الله*

(تاريخ الإيداع 6 / 1 / 2019. قبل للنشر في 8 / 4 / 2019)

□ ملخّص □

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على نظريّة مهمّة في السياق الكلامي ودوره في عمليّة الفهم التي تتضافر فيها مجموعة من المكوّنات اللغويّة والعلاقات الاجتماعيّة والنفسيّة والإدراكيّة ؛ لتجعل من هذه المكوّنات سياقا ذا دلالة لغويّة محدّدة ضمن موقف اجتماعيّ معين ، وقد أبدى البحثُ اهتماما كبيرا بالجانب الاجتماعي للغة، كما أولى الاهتمامَ الأكبرَ لشخصيّة المتكلّم وأحواله النفسية والاجتماعية والثقافيّة ، وتأثيرها في إنتاج الحدث الكلامي .

وانطلاقا من المقولة الشهيرة " لكل مقام مقال " ، وأهميّتها في تحديد المعنى المقصود من الحدث الكلامي الذي تتضافر في إنتاجه مجموعة من العلاقات المترابطة ، بدءاً من المتكلم ومروراً بالمخاطب وفهمه للرسالة اللغويّة ، وانتهاء بالأحوال المحيطة بالحدث الكلامي ، حيث تساعد هذه العوامل في تكوين السياق اللغوي ، والذي يؤدّي بدوره إلى فهم النصّ فهما حقيقيّا مستعينا بالسياقات الأخرى للنص .

وقد ركّز البحث على التمييز بين الكلام والقول ، وآراء القدماء والمحدثين من اللغويين في ذلك ، مبينا قيمة الكلمة المعجمية في النص ، وما تقوم بدور إيحائي في تأويل المعنى ضمن السياق اللغوي ، وهذا يؤدي بدوره إلى تحليل الكلمة المعجميّة من حيث الدلالة السياقيّة . كما تناول الكلمة التركيبيّة وأنواعها ، وما يحيط بهذه الكلمة من علاقات مختلفة سواء ما يتعلق منها بالتركيبيّة أو السياقيّة ، وما يتطلب ذلك من عوامل الترابط والاتّساق ، بالإضافة إلى العلاقة بين المتكلم والمخاطب ، والعلاقات المرتبطة بالزمان والمكان ، ودور معضّدات الكلام في فهم النص ، وانتهى البحث بخاتمة تتضمن أهمّ النتائج المستخلصة من هذه الدراسة ، وثبت بالمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحيّة: (السياقيّة ، الدلالة ، الكلام ، النصّ ، المقام ، المعجميّة)

* **ماجستير– كلية الآداب والعلوم الانسانية– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (2) 2019

Effectof contextual significance in understanding text

Abd ALateef Sobhe Abd Allah*

(Received 6 / 1 / 2019. Accepted 8 / 4 / 2019)

□ ABSTRACT □

This study aims at shedding light on the theory that is truly one of the most important linguistic theories that influenced and influenced the Arabic language lesson after the fifties of the twentieth century. The study of this theory has been used to reveal the arguments of our Arab scientists concerned with the social aspect of the language and to pay greater attention to the personality of the speaker Psychological, social and cultural, and their impact on the production of the speech event.

And based on the famous saying "for each article", and its importance in determining the intended meaning of the speech event, which combines the production of a series of interrelated relations, from the speaker and through the address and understanding of the language message, and to the conditions surrounding the speech event, , Which in turn leads to a real understanding of the text using other contexts of the text .

The discussion focused on the distinction between speech and speech, and the views of the ancients and the modern linguists in it, indicating the value of the lexicon in the text, and the role of suggestive in the interpretation of meaning within the linguistic context, which in turn leads to the analysis of the lexicon word in terms of contextual significance. As well as the relationship between the speaker and the interlocutor, the relationship between the time and place, and the role of speech impediments in understanding the text, and ended the research concluded The main findings from this study include proven sources and references .

Keywords (contextual, semantic, speech, text, place, lexico)

*Master ،Faculty of Arts ، Tishreen university ،Lattakia ،Syria.

مقدّمة

تدور مادة (ن ص ص) التي ترجع إليها لفظ (النص) في المعاجم اللغويّة حول معان عديدة يرجعها ابن فارس إلى أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء [1] . وإذا أضيفت كلمة الدلالة إلى النص ، يصبح لها مفهوم اصطلاحي يقصد به "ما ثبت من النظم لغة، لااستنباطا بالرأي " [2] ، نحو قوله تعالى: " فلا تقل لهما أف " [3] ، فدلالة عبارته على تحريم الأف ، ودلالة النص شمول التحريم لأنواع الأذى كافّة ، إذ إن نفي الأدنى من الأذى يستلزم نفي الأعلى منه .

وفي علم اللغة الحديث ، علم النص خاصة – يستعمل لفظ النص مقابلا للمصطلح اللاتيني (Text) ، وهو بهذه الصفة له تعريفات عديدة تختلف لاعتباراتٍ ؛ منها شكل النص ، ومضمونه ، وعلاقته بالخارج (السياق الخارجي). ومن التعريفات التي جمعت بين الشكل والمضمون وتحقيق الاتصال تعريف باسل حاتم الذي يحدّ النص بأنّه " تتابع من الجمل تؤطّر مجموعة من النوايا الاتصالية بين طرفين لتحقيق غرض بلاغيّ " [4] .

أهميّة البحث وأهدافه :

يسعى هذا البحث إلى دراسة نظريّة مهمّة من النظريّات اللغويّة ، حيث ماجت حقول المعرفة اللغويّة في البلاد العربية بكثير من المقولات اللغوية التي امتزجت فيها أصالة التراث بالبحث اللغوي المعاصر ، ولعلّ نظريّة السياق هي واحدة من أكثر هذه النظريّات اللغويّة أهمية ، كونها تساعد بشكل فعّال في فهم النص ، انطلاقا من السياق ، أو الموقف العام للكلام .

منهج البحث :

لقد كان اختيار هذه الدراسة النظريّة لأثر الدلالة السياقيّة في فهم النص باعثا مهمّا للتعمّق في تفرعّاتها وعناوينها التفصيليّة ؛ ومن هنا فإنّ الدراسة ستعتمد في منهجيّتها على المنهج الوصفي في الأغلب ، حيث ارتأت هذه الدراسة تقصّي هذه النظريّة السياقيّة بأهم تفرعاتها عند الأقدمين واللغويين المحدثين ، وذلك من أجل الوصول إلى أفضل النتائج المنشودة من هذه الدراسة ، كما سيكون لمنهج التحليل نصيب في تحليل بعض النصوص اللغويّة المندرجة في ثنايا البحث في محاولة حثيثة للتأكيد على ما تمّ إدراجه وإثباته في المجال النظريّ .

أولاً : معايير النص :

وهي جملة من الصفات التي يمكن أن توجد كلها ، أو بعض منها في النص ليكون نصّا، وقد عدّ (ديبوجراند) معايير النص سبعا هي [5] ":

1- التناسق : وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي .

---

[1] – ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط2 ، 1932هـ ، 356/5 .

[2] – السرخسي ، الأصول ، تح : أبو الوفاء الأفغاني ، دار المعرفة ، بيروت ، 1973 م ، 236/1 .

[3] – سورة الإسراء : 23 .

[4] – عوض ، يوسف ، علم النص ونظرية الترجمة ، دار الثقة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1410 هـ ، ص54 .

[5] – ديبوجراند ، روبرت ، النص الخطاب والإجراء ، تر : د. تمام حسان ، القاهرة ، ط1 ، 1418 هـ ، 23/1 .

2- الترابط الفكري : وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به من عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي ، واسترجاعه ، وتشتمل وسائل الترابط الفكري على :

- العناصر المنطقيّة : كالسببية والعموم والخصوص .
- معلومات عن تنظيم الأحداث ، والأعمال ، والموضوعات ، والمواقف .
- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانيّة .

3- القصد : وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام ، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها .

4- الموقف : وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه ، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره .

5- التناص : وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة .

6- الإخباريّة : وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصيّة ، والإعلاميّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل .

7- التلقّي : وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء صورة من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص متناسق لفظيا ومترابط فكريا ."

ثانياً : مكوّنات النصّ :

انطلاقا من أن النص ذو وظيفة تتركز بالدرجة الأولى على الاتصال الاجتماعي فإن صياغة حد للنص ينبغي أن يكون مشتملا على :

1- الطابع اللغوي للنص (منطوقا أو مكتوبا) .
2- الطابع التتابعي لمكوناته ، والعلاقة بينهما .
3- حجم النصّ .
4- علاقة النص بالخارج (الموقف) .

وبهذا الاعتبار فإن النص (المنجز اللغوي) أيّا كان طوله ، لابدّ أن يكون مكونا من أدنى المكوّنات ذات القيمة في الدلالة مهما كان حجمها ، وبهذا تكون مكونات النص هي (الجملة ، الكلمة ، الصوت ، الموقف) . وسنتناول كل مكون من هذه المكوّنات أولا ، ثم نتناول العلاقات التي تجعل هذه المكونات سياقا ذا دلالة .

1) - الجملة : وهنا سنعرض تعريفات الجملة عند العرب القدماء الذين يظهر في كلامهم تناولا لثلاثة مصطلحات يراها بعضهم متحدة الدلالة ، ويخالف بعضهم الآخر فيفرقون بينها بشكل لا يغني في التعريف بينها ، وهذه المصطلحات هي (الكلام ، القول ، الجملة) .

لم يستخدم سيبويه مصطلح (جملة) ، وإنما اكتفى بالإشارة إلى مكوناتها، فذكر المسند والمسند إليه، و " هما ما لا يغني واحد عن اللآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم ، المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك ؛ عبدالله أخوك ..."[1]. ويتّخذ سيبويه كذلك مصطلح " الكلام " للدلالة على المركب من الكلام المستقيم والمحال .

[1] – **سيبويه ، الكتاب ، تح : عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط2 ، 1979 م ، 23/1 .**

أما ابن جنّي فيبدأ كتابه (الخصائص) بالتفريق بين القول والكلام ، فيعرف الكلام بأنه " كل لفظ مستقل بنفسه ، ومفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويّون الجمل ، نحو: زيد أخوك ، ... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت ثمرة معناه فهو كلام "[1] ، وأمّا القول فأصله " كل لفظ مُذِلَ به اللسان تاما كان أو ناقصا ، فالتام هو المفيد ، أعني الجملة وما كان في معناها من نحو صهٍ و إيهٍ ، والناقص ما كان بضد ذلك ، نحو : زيد ، وكان أخوك ... فكل كلام قول ، وليس كل قول كلاما " [2] .

ويبدو أن الخلاف بين النحاة في هذ المصطلحات مطابقة، أو اختلافا يرجع فيستقر على الإسناد والإفادة، باعتبارهما شرطا فيما يدلّ عليه المصطلح أو لا يدلّ . وللخروج بتعريف إجرائيّ للجملة على اعتبارهما حدّاً لغويّاً نشير إلى المحدثين من اللغويين يقسمون الجملة إلى نوعين :

أحدهما : ما يطلقون عليه جملة النظام وهي " شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما " [3] . والآخر : ما يطلقون عليه جملة النص وهي " الجملة المنجزة فعلا في المقام " [4] ...وعلى ذلك يمكن القول : إن الجملة منجز لغوي ذو علاقة إسناديّة أصليّة ، وما يستتبع هذه العلاقة من قيود لركنيها أو لأحدهما .

وبهذا نجمع بين مفهومي الجملة النظاميّة والجملة النصيّة بقولنا : " منجز لغوي " وتحتفظ بقيد الإسناد الذي رآه سيبويه . وبما أن المنجز اللغوي (الجملة) ذو علاقات مختلفة ، فإنه لابد من النظر في مكونات الجملة نحويا ومعجميّا لنقف على تلك العلاقات .

2)- الكلمة : إنما نبحث في حد الكلمة حتى نستطيع أن نقدم تحليلا لسياق الجملة الذي به تكون دالة ، على اعتبار أن ما تبقى بعد الكلمة ليس إلا طائفة من علاقات الترابط بين الجمل المكونة للنص، وكما يقول محمد خطابي : " إن اختلاف وحدة الوصف (جملة أو نص) لا يعني بالضرورة اختلاف المستويات والمقولات ...؛ وذلك لان كثيرا من العلاقات القائمة بين الأقوال في الجملة المركبة قائمة بين الجمل في متتالية "[5] .

ويعرف ابن مالك الكلمة تعريفا تفصيليّا بقوله : " لفظ مستقل ، دال بالوضع تحقيقا أو تقريرا ، أو منوي معه كذلك ، وهي اسم وفعل وحرف "[6] ، ومثل هذا التعريف وغيره يستند إلى معايير عديدة هي :

أ- اللفظ أوالقول .

ب- الاستقلال .

ت- الدلالة الإفرادية .

ث- الوضع .

ج- النية .

---

[1] – ابن جني ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط3 ، 1416 هـ ، 5/1 .

[2] – المصدر السابق ، 18/1 .

[3] – لاينز ، جون ، اللغة والمعنى والسياق ، تر : د.عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ،1987 م،ص216 .

[4] – المصدر السابق ،ص217 .

[5] – خطابي ، محمد ، اسانيات النص (مدخل إلى انسجام الحخطاب)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط1 ،1991 م ، ص31 .

[6] – ابن مالك ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تح : محمد كامل بركات ، وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1387 هـ ، ص3 .

ويخرج باللفظ أوالقول غيره من الدوال " كالخط والعقد والنصبة والإشارة "[1] ، ويخرج بالاستقلال " أبعاض الكلمات الدالّة على معنى ، كحروف المضارعة ، ياء النسبة ، وتاء والتأنيث ..."[2] .

وفي الحقيقة فإن مثل هذا المعيار (الاستقلال) لتعريف الكلمة على درجة من الأهميّة في حدها ، ولكن يدخله الاعتراض من جهة أن الأداء اللغوي تتصل فيه الكلمات اتصالا ينفك معه قيد الاستقلال الأدائيّ ، فلا يبقى إلا بالاعتراف والاحتراز في حد النحاة العرب من حيث انفصال الدالّ أو اتصاله .

أما قيد الإفراديّة فيخرج به ما صيغ لا لمعنى كالمهملات مثل ؛ لعم ونحوه من الهذيانات ، وقيد الوضع يخرج ما دل على معنى بالطبع مثل : كاح ، الدال على السعال . أما فيما يتعلق بقيد النية (منوي معه) ، فهي عبارة يشرحها ابن مالك بقوله : " ولما كان الاسم بعض ما تتناوله الكلمة ، وكان بعض الأسماء لا يلفظ بها كفاعل أفعل ، وتفعل ، دعت الحاجة إلى زيادة في الرسم ليتناول بها ما لم يتناوله اللفظ ، فقيل : " منوي معه " أي مع اللفظ .."[3] .

ويبدو من هذا الكلام وما سبقه من تعريفات للكلمة أنها نوعان على النحو التالي :

الكلمة

قول ملفوظ	**قول منوي**
مستقل	**مستقل**
دال على معنى مفرد	**دال على معنى مفرد**
بالوضع	**بالوضع**

والفرق بين الملفوظ والمنوي من الكلمات يعتمد على نوع الدلالة في كل منهما معجميا ووظيفتها ، كما يبدو الفرق بينهما في القيد الأخير (الوضع)، فإن االوضع الأول (الملفوظ) معجمي، بينما هو في الوضع الثاني (المنوي) نحوي .

أما تعريفات المحدثين للكلمة مثل (ماثيوس) فيعرفها بقوله : " أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأي وحدات أخرى " [4] . ويعرفها (فاشيك) بأنها "جزء من الحدث الكلامي له صلة بالواقع الخارج عن اللغة ، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم ، ويتغير موضعها بالنسبة لبقية الحدث الكلامي "[5].

وإذا أردنا مدخلا مرنا لتناول الكلمات في النص أو في الجملة فهو الانصراف عن التعريف ، والتماس المرونة في التناول والتحليل عند من يفرقون بين نوعين من الكلمات ، مثل (هنري سويت) وهما :

أ- الكلمات الكاملة ، ذات المضمون الفني (شارع ، يكتب ، ....) .

ب- الأدوات ، التي تعد مجرد عناصر، أو روابط نحوية ليس لها معنى مستقل خاص ، ووظيفتها التعبير عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة مثل (هو ،واو العطف ،...) [6] .

---

[1] – **الرضي ، شرح على الكافية ، تح : يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ، ليبيا ، 1398 هـ ، 1/22-23 .**

[2] – **السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح : عبدالسلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1394 هـ ، ¼ .**

[3] – **المصدر السابق ، 1/6 .**

[4] – **خليل ، حلمي ، الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية ن الإسكندرية ، 1993 م ، ص17 .**

[5] – **المصدر السابق ، ص17 .**

[6] – **أولمن ، ستيفن ، دولار الكلمة في اللغة ، تر: الدكتور كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، د ، ت ، ص53 .**

وقد ذهب تمّام حسّان المذهب نفسه الذي فرّق فيه (هنري سويت) وغيره بين هذين النوعين من الكلمات ، ويسمي النوعين الكلمة المعجميّة والكلمة التركيبيّة ، وهذا تقسيم يمكن أن نسميه التقسيم الدلالي للكلمات خروجا من اعتبار انقسام الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، أو أكثر من ذلك ، ما الحال عند تمام حسان ، وكذلك أشار (مارتينه) إلى ذات الصفات في المورفيمات من كونها (مغلقة) ، كما أن وحدات قليلة العدد ، وليس لها أي معنى خارج السياق، كما أن الكلمة التركيبية تشمل (الكلمة المنوية)، وهي الكلمة التي يتطلبها الوضع النحوي ، وتضيف إلى هذه الكلمة القيم الدلاليّة كافّة .

ثالثاً : الكلمة المعجميّة :

1)- قيمتها في النصّ : على الرغم من أن الكلمات المعجميّة لا تقوم وحدها بعملية الاتّصال اللغوي بين أطراف الحديث ، إلا أنه من الواضح أن شطرا من ذلك الاتصال تقوم به الإمكانيّة الدلاليّة المعجميّة المقتضية عقلا ولغة من المتلقي ، والإفادة من إشاريّتها الصرفة في فهم المرسل (المتكلم) استنادا على سياق الموقف .

وهناك ثلاثة جوانب يتضح من خلالها الكلمة المعجميّة في الاتصال :

أ- لغة الطفل والكلمة المعجميّة : ففي لغة الطفل يلاحظ أن أول ما يكتسبه الطفل ليس البنية التركيبيّة للغة ، وإنما حصيلة من المفردات اللغويّة ذات المحيط الخاص بالطفل من نحو(ماما ، بابا، ماء)، وتتمحور تلك الألفاظ حول طعام الطفل ولعبه والأشخاص المألوفين له . وعلى الرغم من انفراد الكلمة استعمالا في لغة الطفل في مرحلة مبكّرة ، إلا أنها تقوم بدور الجملة من حيث إنها تؤدي أنواعا من الكلام كالاستفهام و الخبر والامر ...، فالطفل يعبر عن جملة (افتح الباب) بكلمة واحدة وهي (باب) .

ب- وما يقال في الأطفال في المراحل الأولى من استعمالاتهم يقال عن البالغين المصابين بنوع من الحسبة ، حيث يعبرون بالكلمة الجملة ، ويحدث ذلك حين يكون الاضطراب في الكلام في تركيب الجملة وسياقها ، حيث تتلاشى الكلمات الوظيفية كروابط النسق وحروف الجر وأدوات التعريف .

ت- وهو يلاحظ بين متعلمي اللغة الثانية ، حيث يلاحظ بشكل واضح أن البدايات الأولى في مراحل تعلمهم شبيهة إلى حد كبير بمرحلة الطفولة ، التي يعبر فيها الطفلة بالكلمة أو الكلمتين . فإذا تقدم الطالب تعلما وتدريبا سيطر بشكل تام أو جزئي على الاستعمال المعجميّ والتركيبيّ لنظام اللغة الثنائيّة .

فالكلمات المعجميّة عند هؤلاء هي النص الكامل ذلك أنه ليس في وسع هؤلاء أكثر مما كان ، أو فهم المراد عبر هذه الكلمات من المستمعين لهم ، وغالبا ما يكون هؤلاء على دراية بالسياق العام ، لهذا فهم ، إما أقرباء الطفل : (الأم ، الأب ، الأخوة) أو طبيبه ، أما الطالب المتعلم للغة الثانية فهو يتكئ على لغته الأولى عند العجز عن إيصال معلومات باللغة الجديدة ، وهذه الأمور كلها تكشف عن القيمة الحقيقيّة للكلمة المعجميّة في النصّ .

2)- الوظيفة الإيحائيّة للكلمة المعجميّة :

للكلمات المعجمية دلالة إيحائية تنبع من التركيب الصوتي للكلمة ، وهذه الدلالة دلالة سياقيّة ، ذلك أن الكلمات وهي قابعة تثير أو توحي بمثل هذه الدلالة . فأما الدلالة الإيحائيّة النابعة من التركيب الصوتي للكلمة، فيمكن نسبتها إلى اختلاف قيم الأصوات جهرا و همسا ، شدة ورخاوة ، علوا وانخفاضا ،....وهي برغم أنها قيم خلافية يُتكأ عليها في إيجاد الفرق بين الصوتين (الفونيمين) ، فالترقيق والتفخيم هو الذي وضح الفرق الأوليّ في الرمز اللغوي ، إلا أن الكلمات بما هي مكونة من تلك الفونيمات على اختلاف صفاتها وتعارضها ينسب إليها أحيانا بعضا من الدلالة ، وهي ما نسميه هنا الدلالة الإيحائية الصوتية ، وهذا ما أشار إليه النحاة اللغويون القدماء ، ينقل ابن جني عن بعضهم رأيه

في أصل اللغات قال : " وذهب بعضهم أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدوي الريح ، وحنين الرعد ، ونعيق الغراب ،...ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد "[1] .

وقد كان هذا رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ذهب إلى تعاضد اللفظ والصيغة لأداء المعنى حيث يقول : " والمضاعف ما كان حرفا عجزه مثل حرفي صدره ، وذلك بناء يستحسنه العرب ...، ألا ترى الحاكي يحكي صلصلة الحام ، فيقول : صلصل اللجام ..."[2] ، وأخذ ابن جني هذا القول وقول سيبويه " في المصادر التي جاءت على الفعلان : إنها تأتي للاضطربات والحركة نحو : النقزان الغليان والغثيان "[3] ، وأسس عليهما بابا في الخصائص أسماه " باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني " وعقد قبله بابين هما " باب الاشتقاق الكبير " و" باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " ، والأبواب الثلاثة تنبني على شيئين :

الأول : مساوقة الصيغة للمعنى : وهي هنا ليست دلالة صوتية فونيمية ، وإنما إشارة في اختصاص الأبنية لتوافق ما بين الصيغة الصرفية والمعنى الذي سكب فيها ، ومن أمثلة ذلك :

1)- قياسا على قول الخليل ذهب إلى أن الأبنية المضعفة تكون للمعاني المكررة من نحو :

ا- تكرير العين لتكرير الفعل في مثل : كسّر ، قطّع وفتّح ، والعلة في ذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام ...، فلما كانت الافعال دليلة المعاني كرروها أقواها ، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به [4].

ب)- تقطيع الفعل لتقطيع المعنى في المضاعف الرباعي ح مثل : الزعزعة ، القلقلة ،...فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر [5] .

2)- قياسا على قول سيبويه بأن صيغة الفعلان تأتي للاضطراب والحركة ذهب ابن جني إلى أن توالي حركات الأفعال ، من مثل : - بناء الفَعَلان ، - وبناء الفَعَلى في المصادر والصفات نحو : البَشَكى .

3)- ذهب إلى أن هناك تناسبا بين المبنى والمعنى من حيث يأتي المعنى الذي يأتي بطلب ، أو تسبب في إحداثه ، تتقدم حروف الزيادة (السين ، التاء) في صدر الصيغة ، ثم يأتي الحدث بعد ذلك من قبل : استسقى، واستطعم ،...الذي يمكن قوله هنا : إن في مساوقة الصيغة للمعنى شيئَين :

- ترتيب حروف الاصل والزيادة على نحو ما تقع عليه الأحداث .

- الإيقاع الحركي النابع من تكرار الاصوات الصامتة الموضوعة بإزاء المعنى لتكرار المعنى ، كما في الأفعال المضعفة ، أو النابع من الإيقاع الذي تحدثه الكمية المقطعية للمقاطع المكونة للصيغة .

الثاني : مشاكلة الأصوات للمعنى :

وهذه المشاكلة نابعة من الصوت المفرد (الفونيم) ، او مجموعات أصوات (فونيمات) ، والأخيرة هي ما تناوله ابن جني في الاشتقاق الكبير ، مثال على ذلك : مادة (ج ب ر) : هي أينما وقعت للقوة والشدة ، منها جبرت العظيم ، والفقير ، إذا قويتهما وشددت منها ، والجبر : الملك لقوته وتقويته لغيره [6] .

---

[1] - **ابن جني ، الخصائص ،4/1 .**

[2] - **ابن أحمد الفراهيدي ، الخليل ، العين ، تح : د. عبدالله درويش ، مكتبة العاني ، بغداد ، 1386 هـ ، 62/1 .**

[3] - **ابن جني ، الخصائص ،145/2 .**

[4] - **المصدر نفسه ن 157/2 .**

[5] - **المصدر نفسه ،155/2 .**

[6] - **ابن جني ،136/2 .**

أما دلالة الأصوات المفردة فقد درسها ابن جني على شكل موازنة ثنائية بين دلالة كلمتين ، ونسبة الاختلاف بينهما إلى التقابل الثنائي بين صوتين مفردين كل واحد منهما في كلمة ، وقد تكون الموازنة دلاليّا بين أصوات ثلاثة في كلمات ثلاثة ، مثال : خضم ، وقضم ، فالخضم لأكل الرطب ، كالبطيخ وما شابه ذلك ، والقضم للصلب اليابس .

3)- تحليل الكلمة المعجميّة دلاليّاً :

وتثير الكلمات بأنواعها دلالة إضافيّة ، قد تكون هذه الدلالة هي الأولى وخاصة عند السامع أو المخاطب ، بما لهما من تجارب ذاتية وعلاقة بأنواع من الكلمات أو الجمل . وأول هذه الدلالات الإضافيّة هي تلك التي تستطيع من خلالها معرفة ثقافة المتكلم وتخصصه ، بمعنى أن المتكلمين يظهر في كلامهم قدر من مصطلحات اختصاصاتهم، ونحكم على المتكلم بأنه مثقف تبعا لما يحوي كلامه من كلمات تشيع عادة في أوساط المثقفين ، غير أن هذا الإيحاء يظل ذا دلالة اجتماعية أكثر منها لغويّة . لكن بعض الكلمات أو الجمل التصقت بمواقف معيّنة فاصبحت تحمل ظلالا من المعنى يتبادر إلى أذهاننا شئنا أم أبينا ، مثلا (أنتم السابقون ونحن اللاحقون) ، فقد أوردها أحد الطلاب في كلمة له في بداية العام الجديد موجّها التحية لزملائه السابقين ، قائلا هذه العبارة من الحديث ، فهذه العبارة قد أعطت دلالات مختلفة بين الحاضرين ، بدءا من النفور منها لارتباطها بسياق خاص حتى الشك في أن الطالب يهجو الطلاب ، ويهجو تلك المدرسة ، أو المعهد ، أو الكلية التي فهم بعض الحاضرين أنها " مقبرة " ، وأن من فيها جماعة من الأموات سبقوا ، وسيلحقهم آخرون ، إن هذه المعاني أوحت بها الكلمات للمستمعين ، ولهم الحق في أن يفهموا تلك المعاني تبعا للسياق الخاص الذي ارتبطت به هذه الجملة .

ويدعّم مقصود الطالب هنا السياق الخارجي ودوره الفعال في حماية مراد الطالب من حيث إن الطالب يلقي الجملة في حفلة في أول العام وأمامه مجموعة من أساتذته وزملائه من الذين سبقوه إلى هذه المدرسة ، ومن الذين معه في سعيهم للحاق بالسابقين عليهم في الدراسة .

ومن حيث دالّة لفظيّة معيّنة وارتباطها بالأشخاص وبالسياق الخارجي نورد مثالا هو لفظة " البحر " ، ففي مجتمع الصيادين لها دلالتان : فهو مصدر الرزق من جهة ، وموضع الغدر والموت من جهة ثانية . وله دلالة هامشيّة أوسع عند السيّاح والعاشقين ، فهو الهدوء ، والأفق الواسع ، والنسيم العليل ، ويمكن القول هنا : إن قدرا كبيرا من تعدّد دلالات النصوص الشعريّة والأدبيّة مردّها اعتماد كاتبيها على هذا النوع من الدلالة للألفاظ التي يستعملونها في نصوصهم ، أو مردّها إلى إضفاء السامع مثل هذه الدلالة على النصوص في وقت لم يكن كاتب النص يقصد إليها .

ويقودنا هذا الكلام إلى ما يمكن تسميته بالمعنى الضمني الذي لا يكون مقصودا ، ولا نابعا من دلالة نصيّة مباشرة ، وإنما هو استدلال عقليّ بحت بالمنطوق على معنى غير منطوق من مثل ما ساقه إبراهيم أنيس من الأمثلة : " ليت لي مالا ، أَمثلُكَ يرتكب هذا الإثم ، لو اتّحدت إنكلترا مع ألمانيا لهزمت روسيا ، يقول : فنحن نرى في مثل هذا الأساليب اللغويّة نفيا ضمنيّا ، وإن لم تشتمل على أدوات النفي ، فعبارة (ليت لي مالا) تنفي أن لي مالا أو أني من ذوي اليسار ، وجملة (أمثلك يرتكب هذا الإثم) تنفي نسبة مثل هذا إلى المخاطب ، وكذلك الأمر في جملة (لو اتحدت إنكلترا مع ألمانيا لهزمت روسيا) تنفي أن اتحادا تمّ بين الدولتين في أثناء الحرب العالمية الثانية "[1] .

وخلاصة القول أن قدرا من الألفاظ يستدعي بالضرورة فهم النقيض خاصة في الألفاظ التي يشعر لفظها بتحقق نقيضها ، بل إن السامع أحيانا لا يفهم إلا النقيض تبعا لموقفه من مضمون الكلام ، مثلا : فاز الفريق (أ) على الفريق (ب) ، إنه يعني لمشجع الفريق (ب) الهزيمة فقط ، ولا يعنيه الفوز الذي حقّقه الفريق (أ) ، ولكن جملا

[1] – **أنيس ، إبراهيم ، من أسرار اللغة ، مكتبة الدار الأنجلو الأمريكية ، القاهرة ، ط2 ،1966 م ،ص163 .**

من مثل : أكل زيد التفاحة لا تعني شيئا آخر كالشرب مثلا ، ولا أن الآكل أو المأكول غير زيد أو غير التفاحة . إن كل عنصر في النصّ لم يكن ذكره عبثا ، بل إن الاعتبار الدلاليّ لابد أن ينصب على عناصر النص كافّة بالتوازي مع السياق الداخلي والخارجي .

رابعاً : العلاقات التركيبيّة السياقيّة :

1)- الكلمة التركيبيّة ، مفهومها وأنواعها :

أ- **مفهومها** : ويعرفها فندريس الذي يسمّيها " morpheme " ، ويترجمها في كتابه اللغة بدالّ النسبة بقوله : " دال النسبة في غالب الأحيان عنصر صوتي يشير إلى النسب النحوية التي تربط الأفكار الموجودة في الجملة بعضها ببعض "[1] .

ب_ أنواع الكلمة التركيبيّة : ينظر أحيانا إلى الكتابة لتمييز الكلمات بعضها من بعض بالنظر إلى الانفصال والاتصال ، والفراغات الموجودة بين أجزاء المكتوب ، ومن هذا المنطلق فإن بعض هذه الكلمات التركيبيّة " دوال النسبة " ليس له وجود مستقلّ ، فيجب تحليل الكلمة لاكتشافها ، وهذه تسمى لواحق أو زوائد ، وبعضهم الآخر كالضمائر والأدوات منفصلة عن الكلمة ، وتأسيسا على هذا القول يمكن أن ننظر إلى الكلمات التركيبيّة على أنها تنقسم إلى [2] :

1- الكلمات التركيبيّة المنفصلة التي لا صيغة لها ، مثل حروف الجر ، وأدوات الاستفهام ، والضمائر المنفصلة على اختلاف أبوابها النحويّة .

2- الكلمة التركيبية المتصلة ، كالضمائر المتصلة ، ولام الأمر ، والتعليل ، وفاء السببية ....وسواها .

3- الكلمة الموقعية : وهي وجدة تركيبية لا يشار إليها صوتيا ، وإنما يحكمها موقع الكلمات بشتى أنواعها من بعضها ، ويتحكم في مواقع الكلمات النظام اللغوي الذي يفترض ترتيبا نظاميا للكلمات في الجملة ، وهذا الترتيب هو ما عرف عند النحاة بالرتبة ، وما يسمى في علم اللغة الحديث (order) [3].

4- الكلمة التركيبية الصفرية (zero morpheme)[4] : وهي كلمة تركيبية غير ملفوظة ، نلحظها حين نرى علامة للتأنيث ، ولا نرى علامات للتذكير ، ونرى كذلك علامة بإزاء كل معاني الجمل التي تسمى بالإنشائيّة (كالأمر والنهي والاستفهام والتمني) ، ولا وجود يقابل ذلك في الجملة الخبريّة .

5- الكلمات التركيبيّة غير المقطعيّة : وتتمثل في دالّين من الدوالّ السياقيّة ، هما النبر والتنغيم ، والأول يختصّ بالقدر من الملفوظ قد يتجاوز الكلمة ، أمّا الثاني فيختص بكيفيّة صوتيّة لأداء الجملة على وفق معانيها العامّة المختلفة.

6- الكلمة التركيبيّة ذات الصيغة : وهذا النوع من الكلمات التركيبيّة هو الأصعب تحديدا من بين أنواع الكلمات التركيبيّة حيث إنّ الصيغة تشتمل من جهة على المعنى المعجميّ للجذر المكون لأصل الصيغة ، كما تشتمل على ما يجعلها صيغة من حركات داخليّة وزوائد تجعلها صالحة للدلالة على معنى أو معان عديدة .

---

[1] - **فندريس ، اللغة ، تر: عبدالحيد الدواخلي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت ، ص105** .

[2] - **المصدر نفسه ، ص106-113** .

[3] - **البركاوي ، عبدالفتاح ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، دار المنار ، القاهرة ، ط1 ، 1411هـ ، ص195** .

[4] - **انظر : فندريس ، اللغة ، ص110** .

2)- علاقات التوافق السياقيّ :

الكلمات السابقة بشتّى أنواعها ، وهي تقوم بوظائفها المعجميّة والتركيبيّة في الجملة ، حيث تنتظم في ترتيب وتركيب معينين ، وتقوم الكلمات التركيبيّة بتلخيص العلاقة بين هذه الأبواب ، أو الدلالة عليها ، فتشدّ الكلمات أسر بعضها بعضا حتى تصلح ، وهي متراصّة أفقيّا لأداء المعنى الدلاليّ المراد ، وتراصّ الكلمات في الجملة يظهر بشكل واضح أن بين كل كلمتين تطلب إحداهما الأخرى _ نحويّا _ شكلا من أشكال التوافق ، ويتحقّق هذا التوافق في الجملة بوساطة ما يسمّى بالمطابقة النحويّة ، ومجالات المطابقة[1] هي :

أ- الإعراب : (الرفع والنصب والجزم والجر) .

ب- الشخص : أو الحضور (التكلم والخطاب والغيبة) .

ت- العدد : (الإفراد والتثنية والجمع) .

ث- النوع : (التذكير والتأنيث) .

ج- التعيين : (التعريف والتنكير) .

وفيما يلي سنتناول جهات التوافق بين كل متطابقين نحويين ، لنكشف عن مدى التوافق الكليّ أو الجزئيّ بينهما متّخذين لذلك أربعة من الأبواب النحويّة التي تتدخل المطابقة فيها في ترشيح كلمة ما لتحتلّ ذلك الموقع :

1- الفعل والفاعل : لا يشترط فيهما التوافق الإعرابيّ ، فإن الفعل في أكثر حالاته يكون مبيّنا كما هو حاله إذا كان ماضيا ، أو أمرا ، أومتّصلا بنون التوكيد ...أما الفاعل فإنه مرفوع دائما ، وبينه وبين فعله لا يتحقق التوافق إلا في عنصر واحد وهو النوع ، فإذا كان الفاعل مذكرا ، ذُكِّر الفعل ، وإن كان الفاعل مؤنثا أُنِّث الفعل .

2- المبتدأ والخبر : التطابق بينهما غير مطلوب إلا في العدد والنوع ، فأما التعيين فلا تطابق بينهما ، بل إن الأصل في الكلام أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة ،قال سيبويه : " لأن الابتداء إنما هو خبر ، وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدأ بالأعرف ، وهو أصل الكلام " [2] . إن المطابقة في النوع والعدد مطلب لابد م تحققه بين كل من المبتدأ والخبر ، ولا يعدل عنهما إلا في الظاهر حين تكون الدلالة الوظيفيّة للخبر تصدق على المثنى والجمع ، أو بعبارة أخرى يكون اللفظ الواقع خبرا يطلق ويراد به المفرد أو المثنى أو الجمع ، نحو قوله تعالى : " **... وإنْ تظاهَرَا عليهِ فإنَّ اللهَ هو مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنينَ والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظهير**" [3] .

3- الحال وصاحبها : فالحال وصاحبها متخالفان في التعيين ، وفي الإعراب ، فالحال منصوبة دائما ، أما صاحبها فتارة يكون مرفوعا ، وتارة منصوبا ، وقد يكون مجرورا بالإضافة . ثم إن الحال وصاحبها يلزم كونهما متطابقين في العدد والنوع ، يتوافقان تذكيرا او تأنيثا ، كما يتوافقان إفرادا أو تثنية أو جمعا ، على ما عليه التطابق بين المبتدأ والخبر .

4- النعت والمنعوت : في باب النعت تكون المطابقة بجميع عناصرها متحققة بين النعت والمنعوت فيما إذا كان النعت حقيقيا ، أما إذا كان سببيا فإنه يوافق منعوته في التعيين ويتبعه في الإعراب .

---

[1] - **حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدالر البيضاء ، د. ت ، ص212 .**

[2] - **سيبيويه ، الكتاب ، تح : عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط2 ، 1979 م ، 328/1 .**

[3] - **سورة التحريم ، الآية 4 .**

3)ً- عناصر الموقف بين بناء النصّ وفهمه :

أولاً : تحليل العلاقة بين المتكلّم والمخاطب :

أ)- المتكلم : أحد عناصر الموقف ، وتتعلق به وظيفة اللغة التعبيريّة ، ذلك أن النزوع لإنشاء النص ، أو الشروع في الكلام ، إنما يكون من المتكلم ، ويخضع بالدرجة الأولى لمراده وغرضه . كما أن الكلام يفهم في ضوء شخصية المتكلم التي تتشكّل من خصائص معينة تَسِمُ المتكلمَ بصفة خاصة تنعكس في حديثه بشكل يصبح أسلوبا خاصا بالمتكلم . وأهم خصائص المتعلّقة بشخصيّة المتكلم :

- **طريقة الكلام** : من حيث المميّزات الصوتيّة بالمتكلم ، التي تشكّل بصمة خاصة به ، بما في ذلك حالات التقعّر ، والتفاصح الأدائيّ التي تتّسم بها طريقة المتكلم ، بل قد يشمل ذلك العيوب النطقيّة التي قد تظهر في أداء المتكلّم .

- **جنس المتكلم** : فالذكور تختلف نصوصهم اختلافا بيّنا عن الإناث ، من حيث الاهتمامات المختلفة ، ومن حيث الاستدلال بحضور المتكلم .

- **المستوى الثقافي والاجتماعي** : هذان مستويان يؤثّران في بعضهما ويحدث بينهما تناسب طردي في الغالب ، فكلما ارتفع المستوى الثقافي للمتكلم ارتفع مستواه الاجتماعي والعكس صحيح .

ويخضع المستوى الاجتماعي في عمومه للوظيفة التي يشغلها المتكلم ، ونوع هذه الوظيفة ، حتى إن اللغة ذاتها أصبحت ذات مستويات تبعا لتباين المستوى اللغويّ بين المدينة والقرية ، والمتعلّم والأميّ ، والحرفيين والموظفين ، والمدنيين والعسكريين وهكذا ، كما تحظى بعض الوظائف الاجتماعيّة كالأطباء والمهندسين والمحامين في بعض المجتمعات لتوقير مختلف عما تحظى به وظائف ومهن أخرى كالحرف بأنواعها ، وتخضع النصوص التواصليّة للهرم الوظيفي المتدرج بين الرئيس الأعلى لدائرة ما وبقية الموظفين . ويؤثر في هذا المستويين عامل الفقر والغنى ، وعامل الالتزام الاجتماعي والخلقي ، وعوامل السن صغرا وكبرا ، وطفولة ومراهقة . وإجمالا فإن المثل الشائع " **كل إناء بما فيه ينضح** " يصدق على النص (الناضح) والمتكلم (الإناء) .

والنص يفضح صاحبه ، وربما كان ذلك ناتجا عمّا تولّده الثقافة الخاصة بالمتكلم من معجم خاص ، يخضع وجوده في ذاكرة المتكلم إلى المستوى الثقافي والاجتماعي ، كأن يكون معلما ، أو عالما ، أو طبيبا ، أو كاتبا ، كما يخضع في استخدامه لطبيعة الموقف اللغوي بكامله من جهة ، ولموقف المتكلم من موضوع الحديث ومن المخاطب من جهة أخرى ، وهنا يمكن ملاحظة أن المخاطب أو المتكلم أحدهما مرآة للآخر فيتأثّر مستوى الحديث تبعا لقصد المتكلم من مراعاة المخاطب ثقافيّا واجتماعيّا ، وربما كان من شأن خطاب المتكلم أن يتأثّر بالحالة النفسيّة للمتكلم ذاته، وتأثّره بمواقف سابقة أو مستمرة : كالمرض ، والحزن ، والنجاح ، فتنعكس الحالة النفسيّة على النصّ .

ب)- المخاطب : وهو الهدف في أي عمليّة اتّصال لغويّة وتتعلق به الوظيفة الإفهاميّة ، وهو بهذا الاعتبار يتدخل بوجوده ، وصفته في بنية النص ، وأهم ما يجب مراعاته في شأن المخاطب ما يأتي :

- **درجة الانتباه** : فالمخاطب بحكم ظروف الاستماع من جهة (الضوضاء المحيطة ، والشرود الذهني ، عدم التركيز) يخضع النص لمبدأ استمرار الحديث ، والكشف عن استيعابه لدى المتلقي فيما عُبِّر عنه بالوظيفة . وقد يحدث فهم المخاطب _ من حيث التلقّي الحسي _ إشارات لغويّة تظهر في النص المنطوق تأثيرا من حيث الإعادة ، والتكرار ، والتوقف ، أو الشرح في حال عدم فهم المخاطب ، أو سوء فهمه . وقد تحدث إيماءات وإشارات غير لغويّة تحدث ذات الأثر في النص المنطوق من المتكلم ، وتبدي مواقف المخاطب من حيث الموافقة أو الاعتراض على

المسموع تأثيرا في النص الحي ، فكثيرا ما نرى المتكلم يسترسل في إلقائه نصا ما (محاضرة / خطبة) وتجد بين السامعين من يعترض صوتا موافقة أو مقاطعة ، وتجد من يستمع هازّاً رأسه بالموافقة أو المقاطعة ، وتحدث هذه الإشارات لغويّة كانت أو غير لغويّة تأثيرها في المتكلم ، ويتبع هذا التأثير تغيير في النص أداء وبناء في اتجاه التكيّف مع المواقف المشاهدة من السامع اعتراضا أو توافقا ، وفي الحالة الأخيرة خاصة يحدث في الأداء أو طريقة إلقاء الكلام ؛ إذ الشعور بقبول الحديث مدعاة للاستمرار فيه على ذات البناء ، وإن كان يصحبه تغيير في طريقة الإلقاء في اتجاه نوع القبول الذي يحظى به النص .

– **جنس المخاطب** : مما يؤثر في النص بناء وفهما معرفة جنس المتكلم ذكرا أم أنثى ، فمخاطبة الذكور تختلف عن مخاطبة الإناث ، وخاصة في المجتمعات التي تضع للأنثى مراسم خاصة في مخاطبتها ، إضافة إلى أن محادثة المرأة تخضع لأدبيّات خاصة لا تخضع لها محادثة من حيث انتماؤها النوعي .

ولا يقتصر ذلك على التقرّب إلى الأنثى فحسب ، بل يتعدّاه إلى أن كثيرا من الألفاظ اللغويّة في حقول معينة تكتسب دلالات إيمائيّة عند الحديث إلى المرأة ، فتفهم في باب الجنس أو الغزل ..، وخاصة إذا كانت محادثة المرأة ، تتم في حضور نساء أخريات ، أو حضور رجال يختلف فهمهم وتفسيرهم للمسموع تبعا لسوء نياتهم أو على الأقل تبعا لمقبوليّة المسموع لهذه التفسيرات .

ومعنى ذلك أنّنا أمام نوعين من المقبوليّة ، مقبوليّة البناء ، ومقبوليّة الفهم والتفسير ، وكلتاهما تخضعان لمحتوى النص ، إضافة إلى ما يحيط به من ظروف تتعلق بأطراف الحديث أو المشاركين فيه، من ذلك قول أحد الشعراء يمدح زبيدة وهي وتسمع : "

أزبـــيدةُ ابنـــةُ جـعفـــرٍ طوبـى لزائـــركِ المثـــابْ

تُعطيـــنَ من رِجليـــكِ ما تُعطـى الأكفُّ من الرغابْ

فهمَّ الخدم والحشم بضربه، فقالت : دعوه فإنه لم يرد إلا خيرا ، ولكنه أخطأ الصواب ، وضلَّ عن المنهج .."[1] .

ـ المستوى الثقافي والاجتماعي للمخاطب : يتّجه بناء النص لمراعاة المخاطب ثقافيّا واجتماعيّا ، وتخضع النصوص لاعتبارات ثقافة المخاطب ومستواه الاجتماعي ، فيحكم على النص بأنه ذو صفة فكرية أو ثقافيّة عليا أو دنيا بحسب ما يسمى بالنحويّة الاجتماعيّة ، وهي المواءمة بين النص والمستوى الاجتماعي للمخاطبين ، وكثيرا ما نسمع أوساط الناس وعامتهم من متوسطي الثقافة أو الأميين أو الحرفيين على اختلافهم ينتقدون المتحدثين بلغة مثقفة ، ويعبرون عن رفضهم للحديث بناء ومضمونا بقولهم " يتكلم بالنحوي " أو ينسبون الحديث إلى مستوى الفلسفة " يتفلسف " وهو الكلام المعقد وغير المفهوم في نظر هؤلاء .

ومن هنا فإنه لابد من بنية لغويّة وثقافية تتواءم ومستوى المخاطب ثقافيا واجتماعيا ، من حيث درجة وظيفته العمليّة ، ومكانته الاجتماعية في التدرج الاجتماعي ، وفي مجتمعاتنا العربية يخضع الخطاب الأسري في داخل الأسرة الواحدة لدرجة المستقبِل من الأسرة ، فخطاب الأب غير خطاب الأم ، وخطاب الأبناء بحسب السن ، ينضوي كل ذلك في أدبيّات احترام وتوقير الأبوين واحترام الأخوة الكبار ، أو العطف والتدليل للصغار .

وهذا يجعل بنية النص تشتمل على مؤشرات تدل على الاحتفاظ بحقوق المكانة الاجتماعيّة أو الأسريّة من مثل : طال عمرك ، سمعا وطاعة ، أبشر ،...إلخ ، ويكثر ويكثر فيه أن تكونه صيغ الطلب على سبيل الرجاء والتوسل والاسترحام مثلا ، على عكس الخطاب الصادر من الآباء إلى الأبناء الذي يشتمل على مؤشّرات تدلّ على الحنان ،

[1] – **المظفر العلوي ، نضرة الإغريض في نصرة القريض ، تح : نهى عارف الحسن ، بيروت ، ط2 ، 1413 هـ ، ص421** .

والرحمة والتدليل والحزم والطلب على سبيل الأمر النافذ ، وحوار الأخوة المتقاربين سنا في داخل الأسرة يتحرّر من أصول المجاملة المتبعة في كلام الأبوين والأخوة الكبار .

وليس القول بالأدبيّات الاجتماعيّة خاضعا لنظام الأسرة فحسب ، فالنظام المدرسي يفرض قيودا خطابيّة بين المعلِّم في الفصل يلتزم في حواره مع طلابه شرحا لمفردات المنهج الذي يؤديه طرقا وأساليب قوليّة متوافقة مع سنّ الطلاب الذين يوجّه إليهم الحديث ، متوافقة مع الفروق الفرديّة التي تحدث تمايزا بيِّنا بين طلاب الصف الواحد ذوي السن المتقارب والنوع المتقارب كذلك . كما أن من بين الأدبيّات الاجتماعية تلك التي يفرضها التدرج الوظيفيّ بين المدير وبقية الموظفين ، وما تفرضه المخاطبات الإداريّة عادة من الاحتفاظ بقدر من الرسميّة خاصة في الخطابات المكتوبة التي تبدأ عادة بعبارات مثل : معالي الأستاذ ، سعادة الأستاذ ،....وإذا اشتملت على قدر من التودد تستبدل كلمة (الأستاذ) بالأخ ، ثم يعقب عليها بالقول (مع التحية) .

ثم إن حال المخاطب من حيث ما تفرضه الأدبيات الاجتماعية من قيم للمخاطبة أضحى أحد المطالب النقديّة التي لابد من مراعاتها في الخطابة والشعر ، ومناسبة الكلام لمقام المخاطب الاجتماعي يساق عليها شواهد شعرية كثيرة مما يعد من المآخذ على قائلها من ذلك قول جرير لعبدالملك بن مروان : "

أتصـــحو أم فـؤادُك غيـــر صـــاحِ عشيـــةَ همَّ صـــحبُك بالرَّواحِ

فقال عبدالملك : بل فؤادك يا ابن اللخناء "[1] .

فالكلمات كما هي تشكل بالنسبة إلى المخاطب مفاتيح تجارب قد لا يشاركه فيها غيره من أبناء اللغة ، إضافة إلى أن الناس عموما تحمّل الكلمات قسطا من التفاؤل والتشاؤم يختلف مقدارهما بحسب تجارب الأشخاص فرديا ، وتحولها إلى ظاهرة اجتماعيّة بواسطة تعدد التجارب . ومن الأمثلة الرائعة على ذلك ما يطلق على الصحراء (المفازة) ، وعلى اللديغ (السليم) ، وعلى الأعمى (البصير) ، إن ذلك نتيجة جملة تراكمات تجارب ذاتية شكلت فيما بعد فرارا من الألفاظ الأصلية ، المثيرة للتشاؤم واللجوء إلى ما يثير التفاؤل في الأشياء عبر الكلمات ، مثل المفازة والسليم والبصر على مستوى اللغة .

ولابد لنا في هذا المقام من الإشارة إلى تصنيف الكلام (النصوص) إلى مستويات تبعا للمستوى الثقافي والاجتماعي للمتكلم أو للمخاطب أو لمضمون النصّ ، من حيث إن النص يدخل في علاقة مع بقيّة عناصر الموقف ، فيتأثّر بها ويصبح للنص (الكلام) صفة نابعة من اتساق ما بين الكلام والمستوى الاجتماعيّ والثقافيّ لأطراف الاتصال ، إضافة إلى نوع العلاقة التي تربط ما بين أطرافه ، وأدوارهم بالنسبة غلى بعضهم ، والتقارب الاجتماعي فيما بينهم ، ولقد وضع مارتن جوز تصنيفات لأكثر مستويات الكلام شيوعا مستعملا معيار الرسميّة ، وقسّم أساليب الكلام من حيث درجة رسميّته إلى خمسة مستويات هي [2] :

أ- المستوى الخطابي أو الرسمي جدا : وهو المستوى الذي يكون فيه الخطاب أمام جمهور كبير ، ويتصف أسلوبا من حيث اللغة بانتقاء الكلمات بعناية ، وبإعداد مسبق ، كما يتصف بدرجة بناء نغميّ وبلاغيّ ، ويخضع أيضا لمراعاة طبيعة موضوع الخطاب والرغبة في أن يكون مؤثرا في الجماهير ، كما هي الخطب العامة الدينيّة والسياسيّة ، وقد يشمل الكتابات ذات الجمهور المختص كما في الكتب العلمية ، والدوريّات والمجلات الثقافيّة .

---

[1] – المظفر العلوي ، نضرة الإغريض في نصرة القريض ، ص417 .

[2] – براون ، دوجلاس ، مبادئ تعلم وتعليم اللغة ، تر: إبراهيم بن حمد العقيد ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية ، الرياض ، 1414هـ ، ص352 .

ب- المستوى الرسمي : ويشيع هذا المستوى في المخاطبة الجماهيريّة التي لا يمكن للمتحدّث أن يتبادل الحديث معها بفاعليّة ، كمخاطبة الطلاب في الفصول الجامعيّة ، أو المقالات الجادة في الصحف .

ت- المستوى الاستشاري : ويبدو في تسميته أنه مستوى يغلب عليه طابع الحوار الاستشاري ، كالذي يكون عادة بين الطاب وأستاذه في المراحل العليا ، والمحامي وموكله ، والطبيب والمريض ، ويمكن أن يشمل هذا المستوى المعاملات التجاريّة على اختلاف مستوياتها .

ث- المستوى الودّي : وهو يمتاز بغياب كامل الحواجز والمعوّقات الاجتماعيّة ؛ إذ يشيع هذا المستوى بين أفراد الأسرة الواحدة ، وهو يعكس من حيث حميميّته مدى العلاقة بين المتحدثين ، ويظهر مدى الحب والقرب بين المتحدثين ، وإن كانت تؤطّره أدبيّات السنّ والعلاقة الاجتماعيّة بين أفراد الاسرة الواحدة .

والحق أن معيار الرسميّة يظلّ مقبولا من حيث دلالته الاجتماعيّة التي تؤثّر في مستوى النص بشكل يطرح التواؤم فيما بين النص والموقف ، والموضوع الذي يتناوله الحديث يفرض صيغة لغويّة عامة على الحديث ويقود أحيانا إلى التنبؤ بالنقاط التي يتناولها الحديث ، وكثير من الناس يعرف قدرا من محتويات الحديث من مجال الموضوع ، ويتواءم ما نقوله هنا مع القول الشائع (الكتاب من عنوانه) ، وبما أن التنبؤ في هذا وارد من المستمع فإن المتكلم إذا كان يريد لكلامه أن يحظى بالقبول من السامع والتأثير فيه ، فلا بد أن يحمل كلامه لفظا ومعنى ما يثير انتباه المخاطب .

ثانياً : معضّدات الكلام وقيوده الحركيّة :

لا تؤثّر الرسميّة في النصّ _ فقط_ من حيث هو لغة ، بل يتعدّى ذلك إلى شرط مواءمة الحركات الجسميّة والإيماءات المصاحبة للكلام للمستويات المختلفة اجتماعيّا ، حيث يشتمل الحديث التواصليّ إضافة إلى عناصره من متكلم ومخاطَبين ونص (كلام) جزءا مهمّا يعضّد إنتاج الكلام وفهمه عبر قدر من الحركات الجسميّة لطرفي الاتصال ، وعبر بعض بعض القيود الاجتماعيّة التي تفرض على المشاركين في الحدث التواصلي ، فمن وجهة نظر اجتماعيّة يخضع الحدث التواصلي في عمومه لعاملين مهمّين:

أحدهما : المسافة بين المتكلم والمخاطب ؛ إذ يقع الحدث التواصلي على وفق نمط اجتماعي معيّن يحدد المسافة بين أطرافه ، وتخضع المسافة أثناء الكلام لما يخضع له الكلام نفسه من اعتبارات المستوى الاجتماعي والثقافي ، وهذه الاعتبارات نابعة من ثقافة المجتمعات في مختلف عاداتها . وتتناسب المسافة طرديّا مع المستوى الثقافي والاجتماعي للمتحدثين ، فيزداد (بعد المسافة) مع ازدياد المستوى الثقافي والاجتماعي ، والعكس صحيح .

والآخر : الإشارات والحركات الجسميّة ، وتعد لغة غير صوتيّة ، وهي على الرغم من محدوديّتها ، وعدم اقتصاديّتها ، إلا أن حركة اليدين والعينين تعدّ من أهم المعضّدات غير اللغويّة المصاحبة للكلام ، ويستخدم المتكلم عادة هذه الإشارة والحركات لمزيد من التوضيح للنص . يقول الجاحظ :" والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغني عن الخط "[1] . ويحدث عن المستمع إشارات أخرى يفهم منها الموافقة على مضمون الكلام أو رفضه أو الرغبة في تعديله ، كما أن التفات السامع ببصره عن المتكلم مدعاة لفهم الإعراض عن المتكلم ، والإشارة إلى عدم أهميّة ما ينطق به ، ولذلك يعدّ المتحدث الجيد ، هو ذلك الذي يستطيع بحسن صياغته لكلامه أن يحتفظ بالمتابعة الذهنيّة والبصريّة للمخاطب .

[1] – **الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، د . ت ، 79/1 .**

ثالثاً : علاقات الزمان والمكان :

يبدو الزمان والمكان من حيث هما قيمتان خارجيّتان تشكلان معا أو إحداهما قيدا على الحدث في النص ، وتظهران في النص بأشكال مختلفة على النحو الآتي :

أ- المكان : يبدو في النص بواحد من طريقين من طرق التعبير اللغوي : إحداهما بواسطة الظروف الدالة على المكان سواء أكانت جامدة أم مشتقة ، أمثال : حيث ، عند ، وقبل وبعد ..إلخ ، والمشتق اسم المكان . والآخر بواسطة أسماء المواضع الجغرافية ، مثل : دمشق ، حلب ، اللاذقية .

ب- الزمان : يبدو في النص كالمكان بواحدة من طريقتين من طرق التعبير اللغوي إحداهما بواسطة صيغ الأفعال المختلفة ، وذلك هو الزمن الصرفي ، إضافة إلى أدوات النصب والجزم . والآخر بواسطة أسماء الإعلام للأيام والشهور ويلحق بها التاريخ العددي لأوقات الأحداث الكبرى المرتبطة بأزمان حدوثها .

إن المكان والزمان المعجمين على وجه الخصوص يؤثّران في النص تأثيرا كبيرا من حيث اتصاف الزمان والمكان من الناحية الفكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة بمقولات عامّة لها اثرها في ساكني المكان ، ومن ثم النصوص الصادرة عنهم أو الموجّهة إليهم .

الاستنتاجات والتوصيات

إنّ جملة العلاقات النصيّة المعجميّة والتركيبيّة مع علاقة النصّ بالخارج أو الموقف المنجز له (النصّ) ، هي التي تجعل من النصّ نصّاً دالاً ، وتجليّا ملفوظا للسياق المنتمي للنظام . ومن هنا فقد أضحى السياق كيانا لغويّا ذا وجود من حيث إنّه يتمظهر في جملة العلاقات المعجميّة والتركيبيّة التي تصف النصّ بالاتّساق سواء في داخله أو مع الموقف المقول فيه النصّ ، وانطلاقا من هذه الحقيقة فقد توصّل البحث إلى عدد من النتائج أهمّها :

أولاً: في مفهوم الدلالة أُعيد إليه شخصيّة المتكلّم بعد أن أقصى المناطقة ومن وافقهم من البلاغيين المتكلم من مفهوم الدلالة ، وقصروا مفهومها على النصّ والسامع .

ثانياً : كشف البحث عن عناية واضحة من اللغويين بالمواقف والأحوال والمشاهد واعتبارها في التفسير الدلاليّ ، واشتمال النصّ عليها ممّا يؤكّد مفهوم الاتساق القائم بين النصّ والموقف .

ثالثاً: تناول البحث العلاقات المعجميّة بين مكوّنات الجملة ، والقيمة الدلاليّة والنحويّة لهذه المكوّنات ، وخاصّة في علاقات الجملة الاسميّة ، والجمل الفعليّة .

رابعاً : أبدى البحث تصوّرا لمفهوم الكلمة التركيبيّة في اللغة العربيّة وأقسامها ، وعلاقة السياق بهذا التعدد وقيمته في إيجاد دلالة محددة للكلمة التركيبيّة في النصّ .

خامساً : حاول البحث تحليل عناصر الموقف الرئيسة كالمتكلم والمخاطب والزمان والمكان وعلاقات كل منها عند مراعاتها في النصّ ، كما اعتنى البحث بما أسماه (معضّدات الكلام) وقيمتها في التراث وعند المحدثين .

سادساً : كشف البحث عن دور مهم للسياق في عملية الفهم التي تحتاج إلى دراسة عملية الافتراض ، واستقصاء المعاني الضمنية التي تحتويها المفردات والعبارات التركيبية ضمن سياقها اللغوي ، وبالتالي استنتاج واستنباط المعاني الدلالية المناسبة للمقام أو الموقف السياقي العام للحدث الكلامي ، وهذا يُحيلنا بدوره إلى دراسة ملامح السياق بشكل دقيق ، والسياق النصي ، والسياق الموسع حيث تتشابك وتتعاضد معه مجموعة من العوامل الاجتماعية والنفسية ، وذلك بالاعتماد على العديد من المبادئ ، منها (مبدأ الفهم المحلي ، ومبدأ القياس)، وما إلى

هنالك من المبادئ التي تساعدنا في استيضاح الرسالة اللغوية المتضمنة في الحدث الكلامي على اختلاف مستوياته ، وتفاوت المتلقين لهذه الرسالة اللغوية .

إنّ تناول البحث لسياق الموقف بهذا الشكل يكشف عمّا بين النصّ والموقف من علاقات إشاريّة يجعل الباحث يجسّد دور الباحث الاجتماعيّ ، لأنّ ما يسم النصَّ بالاتساق ، والمتكلم بالإنجاز الناجح إنّما هو مقدار التناسب القائم بين القول (النصّ) والموقف .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، *العين* . تح : د. عبدالله درويش ، مكتبة العاني ، بغداد ، 1386 هـ.
- ابن جني ، *الخصائص* . تح : محمد علي النجار ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1416 هـ .
- ابن فارس ، *مقاييس اللغة* . تح : عبدالسلام هارون ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ، 1932م .
- ابن مالك ، *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد* . تح : محمد كامل بركات ، وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1387 هـ .
- أنيس ، إبراهيم ، *من أسرار اللغة* . الطبعة الثانية ، مكتبة الدار الأنجلو الأمريكية ، القاهرة ، 1966 م .
- أولمن ، ستيفن ، *دور الكلمة في اللغة* . تر: الدكتور كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، د ، ت.
- البركاوي ، عبدالفتاح ، *دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث* . الطبعة الأولى ، دار المنار ، القاهرة ، 1411هـ .
- الجاحظ ، *البيان والتبيين*. الطبعة الرابعة ، تح :عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، د . ت.
- حسان ، تمام ، *اللغة العربية معناها ومبناها* . دار الثقافة ، الدالر البيضاء ، د. ت .
- خطابي ، محمد ، *لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)*. الطبعة الأولى ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،1991 م .
- خليل ، حلمي ، *الكلمة : دراسة لغوية معجمية* . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993 م .
- دوجلاس ، براون ، مبادئ تعلم وتعليم اللغة . تر: إبراهيم بن حمد العقيد ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية ، الرياض ، 1414هـ .
- ديبوجراند، روبرت ، *النص الخطاب والإجراء* . تر : د. تمام حسان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1418 هـ.
- الرضي ، *شرح على الكافية* . تح : يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ، ليبيا ، 1398 هـ .
- السرخسي ، *الأصول* . تح : أبو الوفاء الأفغاني ، دار المعرفة ، بيروت ، 1973 م .
- سيبويه، *الكتاب*. تح: عبدالسلام هارون ، الطبعة الثانية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1979 م .
- السيوطي ، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع* . تح : عبدالسلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1394 هـ .

– عوض ، يوسف ، *علم النص ونظرية الترجمة* . الطبعة الأولى ، دار الثقة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، 1410 هـ .

– فندريس ، *اللغة* . تر: عبدالحميد الدواخلي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت.

– لاينز ، جون ، *اللغة والمعنى والسياق* . تر : د.عباس صادق الوهاب ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،1987 م.

– المظفر العلوي ، *نضرة الإغريض في نصرة القريض* . تح : نهى عارف الحسن ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 1413 هـ .